﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: 85]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا ذكرتِ الآيةُ السَّابقةُ توكيدَ الميثاقِ على المُخاطَبينَ، وإقرارَهُمْ وشَهادَتَهُم على أَلَّا يَسْفِكُوا دِماءَ بَعْضِهم بَعْضًا، ولا يُخرِجُوا فريقًا منهُم مِنْ دِيارِهِمْ، بَيَّنَتْ هذه الآيةُ حالَهم في عَدَمِ تَحَمُّلِهمُ الميثاقَ؛ بنقْضِهِمُ العهدَ كما كان يفعلُ مَنْ كان قبلَهم؛ فاستحقّوا التَّوبيخَ على ذلك، فمَوْقعُ هذه الآيةِ من السَّابقةِ بيانُ حالِ اليَهودِ من الميثاقِ الذي تعهَّدُوا بالتزامِه، وشَهِدُوا على ذلك، فالمناسبةُ هي الانتقالُ من بيانِ الدَّعوى الكاذِبَةِ، إلى الواقِعِ الصَّادقِ، وهو القتلُ والإخراجُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾: أَصلُهُ: تتظاهرون، حُذِفت إحدى تاءيْهِ تخفيفًا، وهو من الفعل (ظهر) الَّذي يدور عَلَى معْنَيَيْنِ؛ هُما: القُوَّةُ وَالبُروزُ، يقال: ظَهرَ الشَّيْءُ يَظْهرُ ظُهورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ؛ إِذَا انْكَشَفَ وَبَرزَ، وَالْأَصلُ فِيهِ كُلِّه: ظَهرُ الإِنْسانِ، وجَمْعُه: أَظْهُرٌ وظُهورٌ، وَالظَّهِيرُ: المُعِينُ، كَأَنَّهُ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى ظَهْرِكَ. وتَظاهرَ القومُ: تَعاوَنوا، وظاهَرَه: عاوَنَهُ، والظَّهِيرُ: العَوْنُ، يُقال للواحد وللجَميع، فيقال: هو ظَهيرٌ، وهم ظَهيرٌ، ومعنى: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ أي: تَتَعاونونَ عليهم[1].

2) ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾: تدورُ معاني كلمةِ (أثم) على: البُطْءِ وَالتَّأَخُّرِ، يُقَالُ: نَاقَةٌ آثِمَةٌ، أَيْ:

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سِيده، المحكم، والرّاغب، المفردات: (ظهر).

مُتَأَخِّرَةٌ. وَالإِثْمُ مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَا الإِثْمِ بَطِيءٌ عَنِ الْخَيْرِ مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ. ولهذا قال الرَّاغب في الإثم: "اسمٌ للأفعالِ المُبَطِّئَةِ عن الثَّوابِ، وجَمعُه: آثامٌ"(1). والإِثْمُ: الذَّنْبُ؛ لأنَّه يُبطِّئُ عن الخير، ويطلقُ الإثم في مقابلِ البرِّ، فهُوَ كل فِعْلٍ يستَحِقُّ فاعلُهُ الذَّمَّ واللَّومَ(2).

3) ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: أصلُهُ من الفعل (عَدَوَ)، ويَدورُ مَعْنى الكلمةِ علَى تَجَاوُزٍ في الشَّيْءِ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ، يقال: عَدَا يَعْدُو عَدْوًا وعُدوانًا، والاعْتِدَاءُ مُشْتَقٌّ مِنَ العُدْوَانِ، وَالعُدْوَانُ: تَجاوزُ الحدِّ في الظُّلْمِ، وهو المقصودُ في الآيةِ(3).

4) ﴿أُسَرَىٰ﴾: جمع؛ أصلُه من الفعل (أَسَرَ)؛ وهو الشَّدُّ والإمْساكُ، والإسارُ: الحَبْلُ الذي يُشدّ به، ويُطلق على الحَبْس، ومن ذلك الأَسير؛ لأنَّه يُشدّ بالإسار، ويجمعُ أَسِيرٌ على: أَسارى -بفتح الهمزة-، وأُسارى -بضمها-؛ وهو الأصل، وأَسْرَى(4). ومِن اشتقاقات (أَسَرَ) بمعنى الشدة: أُسرةُ الرجل، وهم أَهلُ بيته ورهطُه الأَدْنَوْن الَّذين يَشْتَدّ بِهِم، وكلُّ محبوس في سِجْنٍ أو في موضعٍ مِثْلِه فهُو أَسِيرٌ(5).

5) ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾: أَصْلُهُ من الفعل (فَدَى): يَفْدِي فِدَاءً، والفِداءُ: أَنْ يُجْعَلَ شَيْءٌ مَكَانَ شَيْءٍ حِفْظًا له، أو هو حِفْظُ الإنسانِ مِنَ المكروه بما يَبْذُلُه عَنْه، ويقال: فَدَيْتُهُ أَفْدِيهِ، كَأَنَّكَ تَحْمِيهِ بِنَفْسِكَ أَوْ بِشَيْءٍ يُعَوِّضُ عَنْهُ، والمُفَادَاةُ: أن يُرَدَّ أَسْرُ العِدَى ويُسترجعَ مِنْهم مَن في أيديهم(6).

6) ﴿مُحَرَّمٌ﴾: على وزْنِ (مُفَعَّل) مِنْ (حَرَّمَ) المُضَعَّفِ العين، ويَدُلّ على المَنْعِ وَالتَّشْدِيدِ. ومنه الحَرَامُ: ضِدُّ الحَلَالِ(7)، وهو المراد في الآية، ومنه الحَرَمُ - حَرَمُ مكَّة والمدينة- سُمِّيَ بذلك لتَحريمِ اللّٰه تعالى فيه كثيرًا ممّا ليس بِمُحَرَّمٍ في غيره من المَواضِعِ، ومثلُهُ الشَّهْرُ الحرام، والحِرمة بالكسرِ هيَ المَنْعُ مِنَ الشيءِ

(1) الرّاغب، المفردات: (أثم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (أثم).
(3) ابن سيده، المحكم: (عدو).
(4) الزجّاج، معاني القرآن: 1/166.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، ابن منظور، لسان العرب: (أسر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (فدى).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (حرم).

لِدَنايَتِه، والحُرمة بالضَّمّ: المنعُ مِنَ الشيْءِ لِعُلُوِّه[1]، فيخْتَلفُ المَعْنى دُنُوًّا ورِفْعَةً باخْتِلاف الحَرَكَةِ كَسْرَةً وضَمَّةً.

7) ﴿جَزَآءُ﴾: أَصلُه من الفعل (جَزَيَ)، قُلِبَت الياء ألِفًا لتَحَرُّكِها وانفتاح ما قبلها، فصار (جَزَى)، وتَدورُ الكلمة على مَعْنى قِيَام الشَّيْءِ مَقَامَ غَيْرِهِ وَمُكَافَأَته إيَّاهُ، والجَزَاء: ما فيه الكِفايَةُ مِنَ المُقَابَلَة، واسْتُعملَ الجزاءُ في القرآنِ في مُقابِلِ الخيرِ والشَّرِّ، كَما في قولِه تعالى: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: 88]، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40]، ويُقال في الاستِعمالِ: جَزَيْتُهُ بكذا وجَازَيْتُهُ، ولم يَرِد في القرآن إلّا جَزَى، ولَم يستعملْ جَازَى، وذاك أَنّ المُجازاة: هِيَ المُكافَأَةُ، وهي: مُقابَلَةُ نِعمَة بنِعْمَةٍ هيَ كُفْؤُها. ونِعْمةُ اللّه تَتَعالى عن ذلكَ، فلا كُفْءَ لِنِعَمِ اللّه، ولِهذا لا يُسْتَعْمل لَفْظ المكافَأة في الدُّعاءِ مَعَ اللّه ﷻ. فلا يَصِحُّ أنْ نقولَ: كافأكَ اللّه، بل نَقولُ: جَزاكَ اللّه خيرًا، ويُسْتَعمل لفظُ المُكافأةِ بينَ النَّاس[2].

8) ﴿خِزْىٌ﴾: أصله من الفعل (خَزِيَ)، ويَدلّ على: الإبعادِ، وخَزِيَ الرجلُ خِزْيًا فَهُوَ خَزْيَانُ، إذا وَقعَ في بليّةٍ وشَرٍّ، فَذَلَّ بذلك وَهَان واسْتَحْيَا مِنْ قُبْحِ فِعْلِهِ فتَبَاعَدَ وَنَأى، ومنه قَوْلُهُمْ: أَخْزَاهُ اللّهُ، أَيْ أَبْعَدَهُ وَمَقَتَهُ[3]، والخِزْيُ في الآيةِ بمعنى: الهَوانِ والذِّلَّةِ[4].

9) ﴿يُرَدُّونَ﴾: أصله من الفعل (ردّ)، وَيَدلُّ على: صَرْفِ الشَّيءِ ورَجْعِهِ، يُقال: رَدَدْتُ الشَّيْءَ أَرُدُّهُ رَدًّا، تقول: رَدَدْتُ عَلَيْهِ الوَدِيعَةَ؛ إذا أرجَعْتَها إليه، وَسُمِّيَ المُرْتَدُّ مُرتَدًّا؛ لِأَنَّهُ رَدَّ نَفْسَهُ إِلَى كُفْرِهِ[5]. و معنى: ﴿يُرَدُّونَ﴾ في الآية: يُرْجَعُونَ.

10) ﴿بِغَٰفِلٍ﴾: أصله من الفعل: (غَفَلَ) يغفل غَفْلَةً وَغُفُولًا، وَيَدلُّ على: تَرْكِ الشَّيْءِ سَهْوًا من قلّة التّحفّظ والتّيقّظ، تقول: غَفَلْتُ عَنِ الشَّيْءِ؛ إِذَا تَرَكْتَهُ سَاهِيًا. وَأَغْفَلْتُهُ، إِذَا تَرَكْتَهُ عَلَى ذُكْرٍ مِنْكَ لَهُ، وهَمْزَةُ (أَغْفَلته) لِسَلْبِ السَّهْوِ؛ فيَقتَضي

(1) تراث أبي الحسن الحرالي: 1/237.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن سيده، المحكم: (جزي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين، عمدة الحفاظ: (خزي).
(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 61.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (ردد).

ضِدَّهُ وهُوَ الذِّكْرُ. والتَّغافُلُ، والتَّغَفُّلُ: تَعَمُّدُ الغَفْلَةِ، والغَفْلَةُ صِفَةُ نَقْصٍ للإنْسانِ؛ لأنها تَدُلّ على ضَعْفِهِ، واللّه تعالى مُنَزَّهٌ عنْ صِفاتِ النَّقْصِ، فلَه صِفاتُ الكَمالِ[1]، فقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

تخاطب الآيةُ اليَهودَ في زَمنِ نُزولِ القُرآنِ، مُبَيِّنَةً حالَهُم معَ الميثاقِ الّذي أَخَذوهُ على أَنفُسِهِم، فهُمْ على حالَةِ أَسلافِهِم مِنْ نَقْضِ الميثاقِ؛ فيقتُلُ بعضُهم بعضًا، ويُخْرِجُ بَعضُهم بَعْضًا مِنْ دِيارِهِمْ؛ حيث اتخذت كلُّ قبيلةٍ مِنَ اليهودِ حليفًا لها من مشركي العربِ يتظاهرون بهم على إِخوانِهم من غير قبيلتهم، إثمًا وعُدوانًا وظُلمًا، وكانوا إذا دار بينهم قتال وانتهى السّجال عن أسرى، واتَّفقوا على فدائهم، جاء اليهودُ يدفعون فِديَةَ الأَسْرى من أَبناءِ جِنسِهم وإِنْ كانوا مِنْ أَعدائِهِم، ثُمَّ يَعتَذِرونَ عَن هذا بِأَنَّ الكتابَ أَمَرَهم بِفداءِ أَسْراهُمْ، فإذا كانَ مُحرَّمًا عليهم أَن يَتركوهم أسرى، فإنَّه مِنَ المحرَّمِ عليهم قبلَ ذلك أَن يَتعاونوا معَ المشركينَ ويُخرجوهم من ديارِهم، فوبَّخَهُمُ اللّه تعالى على إِيمانِهم ببعضِ ما هو موجودٌ في التَّوراةِ من وجوبِ فداءِ أَسْراهُم وكُفْرِهم ببعضٍ آخَرَ ممَّا نهاهم عنه من قَتْلِ بَعْضِهم بعضًا، وإِخراجِهم من دِيارِهِم، فاستَحلُّوا دمَاءَ بعضِهم بَعضًا وأَخرَجوا بعضَهم من ديارهم، وهم معَ هذا قد كفروا بغيرِ هذا مِنَ الكتاب. فجزاؤُهُم على فِعْلِهِمُ القبيحِ هو الخِزيُ والذّلُّ والهَوَانُ في الحياةِ الدُّنيا، ويومَ القيامةِ مصيرُهم ومرجعُهم إلى أَشَدِّ العذاب، ولا يتوهّمون أَنَّ اللّه غافلٌ عمَّا يعملون بل هو سبحانَه بالمرصاد لكلِّ كافرٍ وعاصٍ وإِنَّما يُؤَخِّرُهم ليومِ العذاب[2].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

دلالة حَرْفِ التَّراخي:

ابتدَأَتِ الآيةُ بحرْفِ التَّراخي الرُّتْبِيّ[3]، أي: أَخَذَ عليكمُ الميثاقَ، وأقرَرْتم بهِ، وأنتم تَفْعَلونَ هذهِ الأفْعالَ، تَقْتُلونَ أنفُسَكُم، وتُخرِجونَ فريقًا منكُم مِن دِيارِهم، تَتَعاونونَ مع

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (غفل).
(2) المراغي، تفسير المراغي: 1/162، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/279.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/586.

بَيانُ حالِ اليَهودِ وبُـعْـدِهِـمْ عَـنِ الميثَاقِ المَأْخُوذِ عَلَيْهِم

غيرِكم إثمًا وعدوانًا، وفي (ثُمَّ) معنى الاستِبْعاد[1]، نحوُ قَولِك لصاحِبِكَ: وجَدْتَ مثلَ تلك الفُرصَةِ ثمّ لم تَنْتَهِزْها! يَعْني: يَبْعُدُ منَ العاقِلِ ارتِكابُ هذا المَحْذورِ مِنَ القَتْلِ والتَّشريدِ بعدَ حُصولِ ما يُنافيهِ مِنْ أخذِ الميثاقِ على ألّا يَفعلوا ذلك[2].

بَلاغَةُ أُسْلُوبِ ﴿أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾:

إِيجازُ العِبارَةِ بِتَنْبيهِ المُخاطَبِ والتَّعجُّبِ مِنْ حالِهِ

اقْتَرَنَ الضَّميرُ باسْمِ الإشارَةِ (هؤلاء)؛ لبيانِ أنَّ المخاطَبين هُمْ هؤُلاءِ الذينَ نَقَضُوا الميثاقَ، لا يَخْتَلفون عَنْهُمْ بِحالٍ، كَما يُقال: أنتَ ذلك المُجْرِم، "فعَدَّهُم باعتِبارِ مَا أُسْنِد إليهم حُضُورًا، وباعْتِبارِ مَا سَيُحْكَى عَنْهُم غَيْبًا"[3]، وهذا من بليغِ الخِطابِ الذي يُؤتى به لبيانِ الحالةِ التي عليها المخاطَبُ بأوجزِ عبارةٍ، وقد أفادَ هذا الأُسْلوبُ تنبيهَ المخاطَبِ على حالِه التي يستقبِحُها من غيرِه، بتَنزيلِه مَنْزِلةَ غيرِه؛ لذلك جاءَ فعلُ القَتْلِ حالًا بعدَ اسمِ الإشارَةِ لبيانِ حالِهم التي غَفَلُوا عنْها[4]، والتَّعجُّب من حالِ المخاطَبِ، فهذا "اسْتِعْمَالٌ عَرَبِيٌّ يَخْتَصُّ غَالِبًا بِمَقَامِ التَّعَجُّبِ مِنْ حَالِ الْمُخَاطَبِ"[5]، ووردَ هذا الأُسْلُوبُ في قولِه تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 66].

وقولِه تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: 109].

وقوله تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمد: 38].

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/160، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/466، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/124.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 2/541، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/295.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/92.
(4) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 2/621.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/586.

بديعُ اسْتعمَالِ صِيغَةِ المُضَارِع:

تَصْويرُ الحَالِ القَبِيحَةِ، والإِسْتِمْرَارِ عَلَيْها

مِن بَديعِ اسْتِعْمالِ الصِّيَغِ مَجيءُ الأفعالِ جَميعِها في هَذه الآيَةِ بِصيغَةِ المُضَارِع: ﴿تَقْتُلُونَ﴾، ﴿تُخْرِجُونَ﴾، ﴿تَظَاهَرُونَ﴾، ﴿يَأْتُوكُمْ﴾، ﴿تُفَدُوهُمْ﴾، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ﴾، ﴿تَكْفُرُونَ﴾، ﴿يَفْعَلُ﴾، ﴿تَعْمَلُونَ﴾، وذلك لِتَصويرِ حالِهِمُ القَبيحَةِ، وبَيانِ اسْتِمرارِهِمْ عَليها، فهُم لا يَنْفكُّونَ عن اقترافِها.

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ القُرْآنِيِّ بقَتْلِ النَّفْسِ:

تَشْنيعُ الحالِ وتَقْبيحُ الفاعِلِ بِبَيانِ القَتْلِ الجَماعِيِّ

عبَّرتِ الآيةُ عن قتْلِ الآخرينَ بقتلِ النَّفْسِ، وسِرُّ ذلك يكمُنُ في تَنزيلِ المُشارِكِ في الدِّين منزلةَ الذَّاتِ؛ فإنَّ من يقتُلُ غَيْرَه من أبناءِ دينِهِ فهُوَ يقتُلُ نفسَه؛ لإيجابِ إيقاعِ القِصاصِ في حَقِّه، ولأنَّ أبناءَ الدِّين الواحِدِ يَقَعُ بعضُهُم مِن بعضٍ موقعَ الجَسَدِ الواحدِ؛ ففيه تشنيعُ هَذه الحالِ، وتَقْبيحُ فاعِلِها، وبيانُ ما يترتَّبُ عليها من القَتْلِ الجَماعِيّ.

سِرُّ الإِنْتِقالِ في التَّعْبيرِ مِنَ السَّفْكِ إلى القَتْلِ:

الإِنْتِقالُ مِنْ عُمومِ سَفْكِ الدِّماءِ إلى خُصوصِ القَتْلِ تَنْبيهٌ عَلى أَقْبَحِ صُوَرِ السَّفكِ

اختلف التَّعبيرُ بين الآيتين في السَّفكِ والقتلِ؛ فجاءَ في الأُولى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾، وفي الثَّانية: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، وسِرُّ ذلك الانتقالُ من العُموم إلى الخُصوص؛ فإنَّ سَفْكَ الدِّماء يعُمُّ القتلَ والجَرْحَ وقطعَ الأعْضاءِ، أمَّا القتلُ فيَخْتَصُّ بزَهْقِ الرُّوحِ، وفائدتُه: التَّنبيهُ على أشدِّ ما في سَفْكِ الدِّماء مِنَ المَحْظورِ.

بَراعَةُ الاخْتِلافِ في التَّعْبيرِ بَيْنَ الإِجْمالِ والتَّفْصيلِ:

تَنْزيلُ الجَماعَةِ مَنْزِلَةَ النَّفْسِ الواحِدَة، وإِشارَةُ القُرْآنِ إلى غَيْبِ المُسْتَقْبَلِ

اختلفَ التَّعبيرُ القرآنيُّ في الإخراجِ؛ ففي الآيَةِ الأولى جاءَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾، بينما في الثَّانية قال: ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَرِهِمْ﴾، فاختلَفَ التَّعبيرُ في وقوعِ الفعلِ في الأولى على الأَنْفُسِ، بخِلافِ الثَّانيةِ فعلى الآخَرينَ! وسِرُّ ذلكَ يَكْمُنُ في كَوْنِ الأولى جاءَتْ مُجمَلةً، بخلافِ الثَّانيَة فوقَعَ فيها التَّفصيلُ: ﴿تَظَاهَرُونَ

عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ﴾، وحكم التَّفصيلِ يَختلفُ عن حُكْمِ الإجمالِ، فعُلِم من التَّعبيرَيْن أنَّ الإخراجَ هو إخْراجُ الإنسانِ لنَفْسِه، ونَفْسُه هذه هِيَ نَفْسُ الجَماعَةِ الواحِدَة، فهُوَ تعبيرٌ عنِ التَّمزُّقِ والتَّشرذمِ بين أبْناءِ الدِّينِ الواحِدِ، فمَنْ أخْرَجَ غيرَه من أبناءِ دِينِهِ فقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ للتَّمزُّقِ، وهو ما حصَلَ وتَحَقَّقَ؛ فهي إشارةٌ قرآنيَّةٌ لغيْبِ المُسْتَقْبلِ، وأنَّ ما أوقَعوهُ فيما بَيْنَهم، سَيقَعُ عليْهِم مِن غَيْرِهِمْ.

دلالة الصِّيغَةِ الصَّرْفِيَّةِ:

التَّوْبيخُ وتَقْبيحُ أَفْعالِ الاِعْتِداءِ عَلى الأُخُوَّةِ الدِّينيَّةِ، ممّا يَسْتَدْعِي النَّدامَةَ وَالحَسْرَةَ

دَلَّتْ صيغَةُ: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ على المُشارَكَةِ[1]، وفي هذه الصِّيغَةِ مَعْنى الكُلْفةِ في طلبِ اليَهودِ المُظاهَرَةَ والمُساندَةَ[2] على إخْوانِهِمْ من العَرَبِ المُشركين؛ فلَمْ يكنْ تَظاهُرُهُمْ على إخوانِهم سهلًا ميْسورًا، بل فيهِ كُلْفةٌ وجَهْدٌ، ومع هذا فقد أَخْرَجوهم مِن دِيارِهم وهم آثِمُون مُعْتَدون، وفيهِ من التَّوبيخِ ما يستدعي أشدَّ النَّدامةِ والحَسْرَةِ، وهو تلويحٌ بالتَّأديبِ؛ فإنَّ مَنْ يُناصِرُ أعداءَه ضدَّ إخوانِه فمصيرُه ما تمنَّاه لإخوانِه من أبناءِ دِينِه.

نُكْتَةُ اسْتِعْمالِ حَرْفِ الاِسْتِعْلاءِ:

الكَشْفُ عَن بَواطِنِ القُلوبِ الحاقِدَةِ، وحَقائِقِ الأَفْعالِ

تعدَّى فعلُ المظاهَرَةِ بحرفِ الاستِعْلاءِ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾، زِيادةً في تَصْويرِ كِبْرِ المُظاهِرين وطُغيانِهم؛ فهم يَتَظاهرُون على إخوانِهم طلبًا للتَّمَكُّنِ مِنْهم، والتَّحكُّمِ فيهم، وإبقائِهم أقلَّ حالًا، وأهشَّ مَنْزِلةً، وفي ذلك بَيانٌ للُؤْمِهم، وسُوءِ طَوِيَّتِهم، وشَراسَةِ أخلاقِهم، وضَعفِ اعتقادِهم؛ فالمُظاهَرَةُ لم تكنْ لأخذِ حَقٍّ مَسْلُوبٍ، ولا لإيقاعِ قِصاصٍ مَطْلوبٍ.

(1) الرضي الأستراباذي، شرح الشافية: 1/100.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 2/11.

دلالة المُقابَلَةِ بَيْنَ الأَفْعالِ:

الكَشْفُ عَنْ عِلَّةِ الفِداءِ وأنَّهُ أَداةٌ لا غايَةٌ

قابَلَتِ الآيةُ بين فِعْلَيْن مِنْ أفْعالِ اليَهودِ، وهُما الإخْراجُ والإتْيانُ؛ في قولِه تعالى: ﴿تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ﴾، وفي قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾، فالّذين أَخْرَجُوا هم الذين فادَوْا، "وحَسُنَ لفظ الإتيانِ من حيثُ هو في مقابلةِ الإخراج؛ فيَظْهَرُ التَّضادُّ المُقَبِّحُ لفِعْلِهم في الإخراج"[1]، أي: كَيفَ يَكونُ مِنكمُ الفداءُ لمن أخرجتُموهُمْ مِن دِيارِهِمْ! وهذا دليلٌ واضحٌ بيِّنٌ في كَوْنِ الفداءِ أداةً للتَّحكُّم في حالِ من فُدِيَ، لا أنَّه كان حبًّا ورغبةً في الإعانةِ والإنقاذِ.

تَوْجيهُ القِراءاتِ:

التَّناقُضُ الظَّاهِرُ يَكْشِفُ عَنِ الطُّغْيانِ الباطِنِ

قرأَ نافعٌ وعاصِمٌ والكِسَائِيُّ: ﴿تُفَدُوهُمْ﴾، وهُو جَوابُ الشَّرط في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ﴾، وتُفادُونَ على وزن تُفاعِلُون، مِنْ فَاعَلَ الذي يدلُّ على المُشاركَةِ بين اثنين، على معنى: "يَفْدي هَؤُلَاءِ أُساراهم من هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاء أُساراهم من هَؤُلَاءِ"[2]، أو الآسرُ يُعطي الإطلاقَ، فتَحْصُل المفاداةُ بين الطَّرفين. وذهبَ ابنُ عاشور إلى أنَّ صيغةَ (فاعل) في قولِه: ﴿تُفَدُوهُمْ﴾ مُسْتَعملةٌ للمبالغةِ أيْ تَحْرِصُونَ على فدائِهم[3].

وقرأ الباقون: ﴿تَفْدُوهُمْ﴾، وهو فِعلٌ لا يدُلُّ على المُشَارَكةِ، والمعنى يَفْدِي أَحدُهم الأَسيرَ بإعطاءِ المالِ أو غيرِه[4]، والقراءتان دلَّتا على حِرْصِ اليهودِ على فِداءِ أَسْراهُمْ، سَواءٌ أكان ذلك بالمشاركةِ مع الطَّرفِ الآخرِ بالمُبادَلةِ، أو بدفْعِ الفديةِ دُونَ مشاركةٍ، وحرصُهم هذا مع فعْلِ الإخراجِ يَدلُّ على تناقُضِهم الظَّاهرِ، الكاشفِ عن طغيانِهم الباطنِ.

(1) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 1/175.
(2) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 105.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/590.
(4) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 2/252.

فائِدَةُ ذِكْرِ ضَميرِ الشَّأْن:

التَّنْبيهُ عَلى التَّناقُضِ الإيمانيِّ، والاخْتِلافِ العَقَدِيّ

جاءَ ضميرُ الشَّأن في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾؛ للتَّنبيهِ على تناقُضِهم في فِعْلَين مُتَقابِلَين، فِعل الإخراجِ، وفِعل الفِداءِ، ويُؤَكِّدُهُ قولُه تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾؛ فلا مَصيرَ إلى هذا الفِعْلِ إلَّا من الإيمانِ ببعضِ الكتابِ والكفرِ ببعضِه الآخَرِ.

تَوْجيهُ المَخْصوصِ بِالذِّكْرِ:

إظْهارُ أصْعَبِ الأفْعالِ المَذْكورَةِ في سِياقٍ واحِدٍ

خَصَّتِ الآيةُ بالذِّكرِ تَحريمَ الإخراجِ، وإنْ كانَتْ أفعالُ القتلِ والمظاهَرَةِ كلُّها حَرامًا؛ لِما فيها مِنْ مَعَرَّة الجَلاءِ والنَّفْي الذي لا ينقطعُ شرُّهُ إلا بالمَوْتِ والقَتْلِ، وإنْ كان أعظمَ منه، إلّا أنَّ فيه قطعًا للشرِّ؛ فالإخراجُ من الدِّيارِ أصعبُ الأفعالِ بهذا الاعتبارِ[1]، ولدفعِ توهُّم أنَّ المحرَّم هو المفاداةُ.

دلالة هَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ:

الإنْكارُ والتَّوْبيخُ بِسَبَبِ العُدُولِ عَنِ الحَقِّ، والتَّعَجُّبُ مِنْ جَمْعِهِمْ بَيْنَ مُتَناقِضَيْن

أفادتْ هَمزةُ الاستفهامِ في قولِه تعالَى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، الإنْكارَ والتَّوبيخَ والتَّعجُّبَ، والإنكارُ داخِلٌ على مَجْموعِ الجُمْلَتَيْن؛ فوقعَ الإنكارُ عليهم بسببِ إيمانِهم ببعضِ التَّوْراةِ، وكفْرِهِمْ ببَعضِها الآخَرِ الذي لا يُوافِقُ هواهُمْ، ومِنْ هُنا يَتَبَيَّنُ مَدْحُ المؤمنين: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: 119]، فالاسْتِنكارُ هو بِسَبَبِ عُدولِ اليَهودِ عنِ الحقِّ، واتِّباعِهِمُ الباطِلَ، "وَإِنَّمَا وَقع ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ فِي حَيِّزِ الإِنْكَارِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ عَجِيبٌ، وَهُوَ مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُمْ كَادُوا أَنْ يَجْحَدُوا تَحْرِيمَ إِخْرَاجِهِمْ، أَوْ لَعَلَّهُمْ جَحَدُوا ذَلِكَ"[2].

(1) السمين، الدر المصون: 1/488.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/591.

بَلاغَةُ الإيجازِ:

عَطْفُ المَذْكورِ عَلى مُقَدَّرٍ مَفْهومٍ مِن السِّياقِ

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، عطفتْ فعلَ ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ على مقدَّرٍ محذوفٍ وهو: "أتَفْعَلون ما ذُكِرَ فتُؤْمِنُونَ"[1]، وفيه إيجازٌ بَديعٌ؛ إذ جَمَعَ جَميعَ الأفعالِ القَبيحَةِ بَين همزةِ الإنكارِ والفاءِ المفيدةِ للتَّعقيب، بتقديرٍ مفهومٍ من السِّيَاقِ، إيذانًا بأنَّ هذا الإيمان مُسْتَنكَرٌ أمْرُهُ وهُو على هذهِ الحالِ، ولَك أن تَجْعلَ الفاءَ مَعْطوفةً على ما قَبْلَ هَمْزَةِ الاستِفهامِ، أي عَلى فِعْلِ: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، وما بَعْدَه مِنَ المَعْطوفاتِ[2]، والنَّهجُ الأوَّلُ هُوَ الأقْرَبُ لرُوحِ الفَصاحَةِ.

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ:

تَشويهُ المُشَبَّهِ؛ بِتَشْبيهِهِ بِأَخْطَرِ الأَوْصافِ، مُبالَغَةً في الرَّدْعِ

شُبِّه امتثالُ اليهودِ بأمْرِ فِداءِ الأسْرى بالإيمانِ، وإقْدامُهُم على القَتْلِ والإخْراجِ بالكُفرِ، فحُذِفَ المُشَبَّهُ وصُرِّح بالمُشَبَّهِ به على طَريقَةِ الاسْتِعارَةِ التَّصْريحِيَّةِ؛ "لِتَشْوِيهِ الْمُشَبَّهِ وَلِلإِنْذَارِ بِأَنَّ تَعَمُّدَ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ قَدْ تُفْضِي بِصَاحِبِهَا إِلَى الْكُفْرِ بِهِ"[3].

بَلاغَةُ أسْلوبِ القَصْرِ:

مَجيءُ أُسْلوبِ القَصْرِ أبْلَغُ لِمُقْتَضى الحالِ ومُناسَبَةِ المَقامِ

في قولِه تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾، لَو لَمْ يَأْتِ الكَلامُ على أسْلوبِ القَصْرِ لفاتَ المعنى المقصودُ، والقَصْرُ هنا إضافيٌّ، أيْ لا يَتَجاوَزُ جَزاءُ مَنْ يفعلُ ذلك منكم الخزيَ في الحياةِ الدُّنيا إلى العِزِّ الذي قَصَدوهُ مِنْ أفْعالِهم، فليْسَ لَهم جَزاءٌ في الحياةِ الدُّنيا إلا الخزيُ والهوانُ، كما لا يتجاوزُ جزاؤُهُم يَومَ القيامةِ أشَدَّ العذابِ إلى العذابِ اليسيرِ، بما كانوا يَفْترونَه مِنْ أنَّهم لنْ تمسَّهم النَّارُ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 1/313.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/591.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/591.

إلَّا أَيَّامًا معدودةً، وقال أبو العبَّاسِ البسيلي: "أتى بالحَصْرِ، وإنْ كان عدمُه في مثلِ هذا التركيبِ أبلغَ دَفعًا لِمَا يُتوهَّم مِنْ أنَّ إيمانَهم بالبعضِ يوجِبُ تخفيفَ العذابِ عنهم"[1]، فكان الإتيان بالقَصْر أبلغ لمُقتَضى الحال ومُناسَبَةِ المقام.

سِرُّ التَّعْبيرِ بإشارَةِ البَعيدِ المُفْرَدِ:

بَيانُ بُعْدِهِمْ عَنِ الحَقِّ، والدّلالة عَلى أنَّ أفْعالَهُمْ لَها مَنْزِلَةُ الفِعْلِ الواحِد

أشارتِ الآيةُ باسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى مجموعِ المتقدِّم؛ من الإيمانِ ببعضِ الكتابِ، والكفرِ ببعضه الآخر[2]، وأُوثِرَ البَعيدُ دون القريبِ فلم يُقل: (هذا)؛ لِبُعْدِ إيمانِهم عن الحقِّ، وسَفالَةِ أمرِهِمْ فيُسْتَحقَرُ قُرْبُهم، وجاء مُفْرَدًا؛ للدّلالة على أنَّهما بمَجموعِهما شَيْءٌ واحدٌ؛ فالإنكارُ على مجموعِ الأمرين لأنّ من يؤمن ببَعْض الكِتاب لا يُسَمّى مُؤْمِنًا حتى يُؤمِنَ بالكِتاب كُلِّه.

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ القُرْآنِيّ:

مُعاقَبَةُ المُجْرِمِ بِضِدِّ مَقصَدِه مِن أَوْفَقِ دَرَجاتِ العَدْلِ

إيقاعُ العُقوبَةِ على المُجْرِم بضدِّ ما أرادَه هِيَ مِنْ أرْدَعِ العُقوباتِ، وأزْجرِ التَّأديبات، فقولُه تعالى: ﴿خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هو عَلى ضِدِّ ما أرادوهُ؛ فهُم أرادوا العِزَّةَ على أبناءِ ملَّتِهم، فعاقَبَهمُ اللّه تعالى بالخِزي في الحياةِ الدُّنْيا[3].

دلالة التَّنْوينِ في كَلِمَةِ ﴿خِزْيٌ﴾:

التَّنوينُ في كلمةِ: ﴿خِزْيٌ﴾ أفادَ تفخيمَ الخِزْيِ الذي يصيبهم في الحياةِ الدُّنيا، وتهويلَه عليهم[4]، فهو خِزيٌ لا يُقوى عليه، ومِنْ شَأنِه إلحاقُ الأذى العَظيم بمَن أصابَه.

بَلاغَةُ تقديمِ الظَّرْفِ:

تَهْويلُ المَقامِ، وتَعْظيمُ المَوْقِفِ، وتَفْظيعُ الحالِ

مِنْ حقِّ الظَّرف أنْ يتأخَّر عَن عامِلِه، ولكنْ تَقدَّمَ الظَّرفُ ﴿يَوْمَ

(1) البسيلي، التقييد الكبير: 1/268.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 1/314.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 2/12.
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 1/346.

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ على الفعل ومتعلَّقِه ﴿يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾؛ لأنَّ المَقام لتَهْويلِ الخَطْبِ وتفْظيعِ الحالِ مِنْ أوّلِ الأمْرِ[1]، ويُؤكِّد هذا مُقابلَةُ وصْفِ الحياةِ الدُّنيا بيومِ القيامةِ، لا بالحياةِ الآخِرَةِ؛ للإشارة إلى قيامِ الأمور العَظيمَةِ، ومِنها رَدُّ الكافِرينَ إلى أشدِّ العَذابِ.

سِرُّ التَّعبيرِ بمفردةِ الرَّدِّ:

بيانُ أشدِّ العذابِ في الدُّنيا، بأشدِّ العذابِ في الآخِرَةِ

آثرَ النَّظْمُ الكريمُ مفردَةَ الرَّدِّ؛ لبَيان أنَّ أشدَّ العذابِ يومَ القيامَةِ هُوَ مَوْضِعُهم ومَوْطِنُهم، وهو خليقٌ بهم بسببِ أفعالِهِمُ القبيحةِ، وكُفْرِهِم بالكِتابِ؛ فليس شَأْنُهم إلَّا الرّجوعِ إلى مَوْطِنِهم ومُنْتَهى أمرِهِم، وهو مَوْضِعُ أشدّ العذاب، وفيه إشارَةٌ تَهْويليَّةٌ إلى أنَّهم سَيُرَدُّون إلى أشَدِّ العَذابِ الذي لاقَوْه في الدُّنيا؛ فإنَّ أشدَّ العذابِ في الآخرةِ لهم، كما أنَّ أشدَّ العذابِ في الدُّنيا هُوَ لَهم كذلكَ، "كأنَّهم كانوا في الدُّنيا في أشَدِّ العذابِ أيضًا؛ فرُدُّوا إليه"[2]. والجُمْلةُ فيها تَعْريضٌ بعُمومِ العُقوبةِ لمن يكونُ على هذا الكفرِ، وأنَّها لا تختصُّ بالمخاطَبين من قَبْلُ[3]؛ فهي تقعُ على كلِّ من شابَهَهُم بأفعالِه وتَحايُلاتِهِ، طلَبًا للعِزَّة على حِسابِ إخْوانِهِ، والتَّنَعُّم على حِسابِ دينِهِ.

بَلاغَةُ الإفْرادِ والجَمْعِ:

تَكْرارُ وُقوعِ الأفْعالِ في الدُّنيا، ووُقوعُ الرَّدِّ مَرَّةً واحِدَةً في الآخِرَةِ

ورَدَ الفِعْلُ (يَفعلُ) مفرَدًا غَيرَ مُتّصلٍ بِضَميرِ الجَماعَةِ بالنَّظَرِ إلى لَفْظِ الاسْمِ المَوصولِ (مَنْ)، ووَرَد الفِعْل ﴿يُرَدُّونَ﴾ مع ضَميرِ الجَمعِ الواوِ العائدِ إلى مَعْنى (مَنْ)، وأُوثِرَت صيغَةُ الجَمعِ في صيغة ﴿يُرَدُّونَ﴾ نَظَرًا إلى أنَّ الردَّ سَيكونُ للجميعِ مرَّةً واحِدةً، بخِلاف الفِعْلِ في الدُّنيا؛ فيَكونُ في أزمانٍ متَبَاينةٍ، فتَحَقَّقَ التَّناسُبُ[4].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/126.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/472.
(3) مجمع البحوث في الأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 1/132.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/126.

تَوْجيهُ القِراءاتِ:

تَكامُلُ القِراءَتَيْنِ في وَعْـظِ الـمُخاطَبين، تَنْويعًا بِحَسَبِ تَنَوُّعِ النُّفوس

قَرَأ نافِعٌ وابنُ كَثِير، وفي رِواية أبي بكرٍ عن عاصم، بالياءِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، وقَرَأ الباقون بالتّاءِ، على الخِطاب[1].

فعلى قراءةِ الياءِ، يكون الكلامُ مَرْدودًا إلى قوله تَعالى: ﴿يُرَدُّونَ﴾، فالكلامُ عَلى أصْلِه، وفائِدَتُه: بيانُ بُعدِهم عن مواضِعِ الشَّرفِ، وعلى قراءة التَّاءِ، يكونُ هناك الْتفاتٌ من الغَيبةِ إلى الخطابِ، "ولـمَّا كانت المواجهةُ بالتهديد أدلَّ على الغضب التفت إليهم"[2]، وفائدتُه توبيخُ اليهود بمُباغَتَتِهم في الخِطاب، فيَقَعُ شديدًا عليهم، وفيه تَنبيهٌ لمن كان غافلًا فلم يَرْعَوِ عن أعمالِه، والقراءتان ملتَقِيَتان في بيانِ المَعنى؛ إحداهُما حَقَّقتْ مَعْنى المُباغَتةِ بقصدِ التَّنبيهِ، والأُخرى حَقَّقَتْ معنى الإبعادِ عن شرفِ الخطابِ، فمَن لم تَعِظْه الأولى، اتَّعظَ بالأخرى.

بَلاغَةُ حَذْفِ المُتَعَلَّق:

إفادَةُ العُمومِ؛ بِغَرَضِ دَفْعِ تَوَهُّمِ أنَّ الحِسابَ مُنْحَصِرٌ في الأَعْمالِ المَذْكورَةِ

حُذِف المفعول به العائِدُ إلى الاسم المَوصولِ (ما) في قولِه تعالى: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ لإفادة العُموم، وعلى افْتِراضِ ذِكْرِه أوْهَمَ ذلك تَخَصُّصَ الفِعْلِ بأعْمالِهم؛ ونكتةُ ذلك: بَيانُ أنَّ اللّه مُراقِبُهم في جميعِ أعمالِهم، صغائِرِها وكبائِرِها؛ فيُدفع تَوَهُّمُ أنَّ الحسابَ على الكبائرِ فحَسْبُ.

سِرُّ نَفْيِ الغَفْلَةِ لا إثْباتِ العِلْمِ:

تَوْبيخُ اليَهودِ عَلى شَديدِ جَهْلِهِمْ بِصِفاتِ اللهِ، وبِشارَةٌ لِمَنْ كانَ عَلى خِلافِهِمْ

لسائلٍ أن يسألَ عن سرِّ قولِه تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ولم يَقُل: (واللّه عَليم بما تَعْمَلون)، أوْ غَيْرَه ممّا يَجْري في هذا المعنى، وجوابُ ذلكَ: أنَّ القومَ باسْتِمْرارِهم في غَيِّهم وفَسادِهم، نُزِّلُوا منزلةَ الشّاكّ في عِلم اللّه بِهم وبأفعالِهم؛ فكأنَّهُم

(1) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 162-161.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 2/13.

توهَّموا أنَّ اللّه غافِلٌ عَنْهُم، كما أنَّ النَّفْي يَقْتضي أنَّ هناك من كان تَوَهّمَ إثباتَ الغفلةِ له سبحانه؛ فكان تماديهم في أفعالِهِمُ الفظيعَةِ يُوحي بتوهُّمِهم - والعياذ باللّه - أنَّ اللّه غافلٌ عمَّا يعملون، فاقتضى السِّيَاقُ نَفْيَ الغفلة عن اللّه تعالى، توبيخًا لهم على غفلتهم عن حَقيقةِ علم اللّه تعالى؛ فهُوَ "تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَزَجْرٌ عَظِيمٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَبِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى الطَّاعَةِ؛ لِأَنَّ الْغَفْلَةَ إِذَا كَانَتْ مُمْتَنِعَةً عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ مَعَ أَنَّهُ أَقْدَرُ الْقَادِرِينَ، وَصَلَتِ الْحُقُوقُ لَا مَحَالَةَ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا"[1].

(1) الفخر الرازي، التّفسير الكبير: 3/594.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»